وهكذا يتوهم " جب " بأنه استطاع أن يؤثر على العقول ، وأنه أودع فيها فكرة طالما داعبة خياله أنه حققها أو كاد أن يحققها بالفعل ، تلكم مسألة .. عدم إلهية المبادئ التى دعا إليها القرآن والتى نادى بها كثيراً ، كالوحدانية ، ومسألة البعث ، وأحوال اليوم الآخر .. هذا نموذج موجز عن الصورة الأولى ، التى يحاول أعداء الإسلام بواسطتها إثبات "بشرية القرآن " .. وهى .. انطباع القرآن فى نفس .. محمد .. عن البيئة والمكان والزمن الذى عاش فيه !!

**وأما الصورة الثانية :** التى يراد بها إثبات " بشرية القرآن " فهى أن القرآن : " تعبير " عن الحياة التىعاشها .محمد .. بجوانبها المتعددة ، وهى حياة ما قبل الإسلام .

والنموذج الذى يعبر عن هذه الصورة صاحب كتاب " فى الشعر الجاهلى " هذا الكتاب تابع فيه مؤلفه المستشرق الإنجليزى "مرجليوث" فى رفضه الإعتراف بالشعر الجاهلى بوصفه حقيقة موضوعية فى تاريخ الأدب العربى ، لقد نشر " مرجليوث " فرضه عن الشعر الجاهلى فى تموز عام ١٩٢٥ م ونشر د / طه حسين كتابه المشهور " فى الشعر الجاهلى " خلال عام ١٩٢٦ م ، وهذه تبعية بغيضة للمستشرقين (١) ممن يزعمون قيادة الثقافة العربية ، ويعجب الأستاذ " مالك بن نبى " من الترحيب بفكرة " مرجليوث " فى الأوساط العربية ، بل والادهى من ذلك هو أن يتبنى المستغربون أفكاره وينادون بها .. وهذا ما حدى بالبعض أن يطلق على الدكتور / طه حسين انه ( ليس إلا مستشرقاً من أصل عربى ) (٢)

كان موقف د / طه حسين مستهجناً فى الوسط العلمى : لاسيما وأنه فى كتابه " فى الشعر الجاهلى " لم يكن معبراً عن فكره

---

(١) راجع الظاهر القرانية : ١ / مالك بن نبى – ص ٥٦ وما بعدها بتصرف ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، تقديم محمد عبد الله دراز ، عمود محمد شاكر – ط٤ دار الفكر – سورية – عام ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

(٢) أساليب الغزو الفكرى : د / على جريشه ص ٢٣ والأستاذ / عمد شريف الزيبق – ط دار الاعتصام – القاهرة ب . ت

الحر ، كلا!! بل كان الكتاب كله : ( ترديداً مخلصاً لآراء غلاة المستشرقين المتعصبين ضد العرب والإسلام ، أمثال " مرجليوث " الذى نقل آراءه كلها فى كتابه " الأدب الجاهلى " ونسبها إلى نفسه ، وليس له فى الكتاب رأى جديد نتيجة بحث علمى قام به أو تعب فى سبيله ) (١)

هذا الكتاب فكرته : أن الشعر الجاهلى لا يمثل حياة العرب قبل ظهور الإسلام ، وإنما يمثلها القرآن ، إنه يقول فى هذا ( إن التماس الحياة العربية فى القرآن .. أنفع وأجدى ؟ ) (٢) .

ينكر الدكتور طه حسين أن يكون الشعر الجاهلى معبراً عن فكر العرب فى حياتهم الجاهلية قبل الإسلام ، ويقرر أن القرآن هو المرآة التى تظهر فيها عقلية العرب وتحضرهم وتأثرهم بالحضارات المتقدمة !!

لكن لماذا ينكر الشعر ، ويختار القرآن ؟

بدهى أن الشعر الجاهلى بصور ما كان عليه العرب من غلظة وبداوة بيد أن القرآن يمثل " تعبيراً " عن عقلية عربية متصلة بغيرها من العقول المجاورة ، والتى تأثر بها العرب عن طريق المعاملات التجارية مع الفرس والروم

فالإقرار بتصوير الشعر الجاهلى للحياة العربية ، معناه : أن القرآن انتقل بحياة العرب وعقولهم نقلة كبيرة عظيمة !! وهذا ما يتبرم الدكتور طه حسين عن الإعتراف به .

وهنا نجد الدكتور يقترب كثيراً من دعوى " جب " وهى أن القرآن "تعبير " عن بيئة عقلية نابضة عاشها الرسول قبل البعثة ، فجاء القرآن " تعبيراً " صادقاً عن تلك الحال الخاصة بـ " محمد " وبـ " قومه " وعندئذ يتفق الدكتور تمام الإتفاق مع ما ادعاه " جب " من أن القرآن للأسباب المذكورة ليس فكراً غريباً على العرب ولم ير الدكتور حرجاً فى

---

(١) الإستشراق والمستشرقون : د / مصطفى السباعى – ص ٨ .

(٢) فى الشعر الجاهلى : د / طه حسين – ص ٢٢-٢٣ نقلا عن الفكر الإسلامى الحديث – د / البهى – ص ٢٣٤ .

أن يفصح عن هذه الفكرة " بشرية القرآن " التى يشبه أو ربما يتابع فيها أستاذه " جب " عن قصد ونية !! فيقول فى توضيح هذا المعنى :

( وليس من اليسير ، بل ليس من الممكن أن نصدق :

أن القرآن كان جديداً كله على العرب !! فلو كان كذلك لما فهموه ولما وعوه ، ولا آمن به بعضهم ، ولا ناهضه وجادل فيه بعضهم الآخر.. إنما كان القرآن .. جديداً فيما شرع للناس من دين وقانون ، ولكنه كان كتاباً عربياً ، لغته هى اللغة الأدبية التى كان يصطنعها الناس فى عصره .

وفى القرآن رد على الوثنيين فيما كانوا يعتقدون من وثنية ، وفيه رد على اليهود ، وفيه رد على النصارى ، وفيه رد على الصابئة والمجوس ... ولولا ذلك لما كانت له قيمة ولا خطر ، ولا حفل به أحد من أولئك الذين عارضوه وأيدوه ، وضحوا فى سبيل تأييده ومعارضته بالأموال والحياة ! أفترى أحداً يحفل بى لو أنى أخذت أهاجم " البوذية " أو غيرها من هذه الديانات التى لا يدينها أحد فى مصر ؟؟ )[1]

من المؤسف أن النص المذكور واضح الدلالة فى أن العرب لم يقبلوا القرآن على أنه منهج إلهى حق ، بل لأنهم ألفوا ما جاء به لأنه لم يزد فيما جاء به عن التعبير عن حياتهم وأفكارهم ، ومن ثم فهذا القرآن خاص بهم وحدهم ، فدين .. محمد .. محلى فقط ! قُصدت به جماعة بعينها تقطن شبه الجزيرة العربية !!

إن مغالطات " جب " من الممكن تخريجها وقبولها على أنه يجهل حقيقة الإسلام وأن فكره ناقص ، لقصور فيما تلقاه عن الإسلام من عقائد وتشريعات لكن ما جاء عن " فى الشعر الجاهلى " صادر عن مسلم من المفترض أنه يعلم ما ترمى إليه كلماته السابقة ، وليس ما نذكره عن فكر صاحب كتاب " فى الشعر الجاهلى " رؤية خاصة أو إثارة للخصومة والخلافات فإن مسألة سوء تقدير نظرة الدكتور إلى

(١) فى الأدب الجاهلى : د / طه حسين ص ٧١ – ٧٢ طبعة ١٧ دار المعارف – القاهرة – ب.ت

القرآن الكريم فى كتابه أنف الذكر ، قد ذاع صيتها ، وتنبه لها المعنيون بهذا الصنف من الفكر .

وها هو محقق كتاب " الملل والنحل " للشهرستانى ، يضع فصلاً عنوانه بين الكفر والإيمان .. قال فى صدره : ( تناول بعض الباحثين المسلمين القرآن الكريم والسيرة النبوية تناولاً أدى بهم إلى الكفر الصريح ، على أن منهم من رجع (١) عن آرائه وتبرأ منها إلى حظيرة الإسلام ، والله أعلم بالسرائر ) (٢)

وتحت التصنيف السابق حكى عن د / طه حسين قوله : " للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا أيضاً ، ولكن ورود هذين الإسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى"(٣) ، ثم قال ايضاً :

" فضلاً عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ، ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ! وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى .."(٤)

ثم أتبع هذا بقوله : ( وقد كانت قريش مستعدة كل الإستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة فى القرن السابع للمسيح )(٥)

---

(١) وهو الأستاذ / منصور فهمى : الذى أساء إلى رسول الإسلام فى أطروحته للدكتوراة بفرنسا عام ١٩٠٨ م ، وموضوعها " حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطورها " على أن فترة الشك عنده لم تطل ، وقد رجع إلى حظيرة الإسلام منذ عام ١٩١٥ م وقد أثبت هنا فى مقالات عدة .

(٢) ذيل الملل والنحل : للشهرستانى : تأليف / محمد سيد كيلانى – ج٢ – ص ٨١ طبعة دار المعرفة – بيروت – عام ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

(٣ ، ٤ ) فى الشعر الجاهلى : ص ٢٦ .

(٥) المصدر السابق : ص ٢٧ .

وقال أيضا : ( أمر هذه القصة ( قصة إسماعيل ) إذن واضح ، فهى حديثة العهد ، ظهرت قبيل الإسلام ، واستغلها الإسلام لسبب دينى!! وقبلتها مكة لسبب دينى وسياسى ) (١) وخلاصة دعواه : ( أن الحياة الجاهلية يجب أن تلتمس فى القرآن لا فى الأدب الجاهلى ) (٢)

ولما كانت أفكار كتابى " فى الشعر الجاهلى " وفى "الأدب الجاهلى" مخالفة ومناقضة لقواعد الإسلام وعقائده ، كان الدكتور محل ريبة واتهام ، قدم للمساءلة ، وقد استدعت النيابة العمومية (٣) " المؤلف " وحققت معه ، وكان التحقيق منحصراً فى النقاط الآتية :

١ – مسألة أن القراءات السبع للقرآن الكريم لم تنزل ، وانها وردت على لسان القبائل ، كما هو ظاهر من لهجاتها (٤) .

٢ – قوله : إن الإسلام ليست له سابقة وجود فى البلاد العربية .

٣ – نفى إسناد نسب النبى (ﷺ) إلى أشراف قريش .

وقد أجاب المؤلف فى التحقيق بأنه : يقرر صدق هجرة إسماعيل عليه السلام إلى مكة ، ويؤمن بقصة بناء الكعبة كما وردت فى القرآن الكريم ، ويؤمن بتنزيل القراءات بصفته مسلماً معتقداً !!

ولكنه لا يقرها بصفته عالماً أدبياً ، وقال : إن عدم إقرارها هو الطريق الوحيد العملى للوصول إلى حقائق الشعر الجاهلى وتاريخه ...

وسأله المحقق عما إذا كان يعتقد أن القرآن وحده كاف لإثبات الوقائع التى وردت فيه ، فأجاب عن ذلك مقسماً الوقائع إلى قسمين :

١ – الحوادث المعاصرة لنزول القرآن ، وهو صحيح .

٢ – الحوادث التى حدثت قبل نزول القرآن ، فهى عبارة عن قصص أراد الله بها إقناع عبيده وهدايتهم ، وهى تنطبق على مسألة الهجرة وخلافها من المسائل .

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٩ .

(٢) فى الأدب الجاهلى : د/ طه حسين ص ٧٠، ٧٢ ، ٢٢٢ .

(٣) ذيل المثل والنحل : ص ٨٥ .

(٤) فى الأدب الجاهلى : ص ٩٥ وما بعدها .

وهنا تكمن الخطورة فى فكر صاحب كتاب " فى الشعر الجاهلى" وكتاب " فى الأدب الجاهلى " كما يتجلى هذا فى إجاباته المتقدمة .

التى يقرر من خلالها أن ما جاء فى القرآن من قصص عن إبراهيم وإسماعيل وغيرهما من القصص – طالما لم تواكب نزول القرآن– بمقياس العقل والعلم ، لا يؤمن بها ولا يعتقد فى صحة شئ منها .

وثمة اعتبار آخر يجيز قبولها ، وهو كونه مسلماً ، وكما يتراءى لنا كم ينتقص هذا الرجل قيمة القصص القرانى وأخبار الأولين بالقياس على ميزان العقل والعلم ، إن إيمانه فيما أعلن أمام الحقق إيمان قلق تعوزه الحجة ويفتقر إلى البرهان .

وإنى أرى .. والله أعلم .. أن إيمانه هذا – المعلن أمام الحقق – كان للخروج من المأزق ، وللتخلص من الموقف ، تفادياً من الإتهام بالمروق من الدين ، خشية أن يقام عليه حد الردة أو الحرابة ، وإلا كيف نقبل تقسيمه – السابق – للأحداث مع ما جاء عن وصف القصص القرانى فى عمومه بانه .. أحسن القصص ، وبأنه حق ، وبأن فيه عبرة ، قال عز من قائل : ( إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله )(١) وقال سبحانه : (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)(٢) وقال تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)(٣) قال جل شانه : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)(٤)

وتاكيداً لتاثر صاحب " فى الشعر الجاهلى " بـ " جب " وامثاله من المستشرقين دعاة " بشرية القرآن " قال صقق الملل والنحل : ( وإن

---

(١) سورة البقرة

(٢) سورة الأنعام : آية رقم : ٥٧ .

(٣) سورة يوسف : آية رقم : ٣

(٤) سورة يوسف : آية رقم : ١١١ .

الآراء التي أوردها المؤلف عن القرآن الكريم مأخوذة من كتب المبشرين، وأعداء الإسلام من المستشرقين وبخاصة اليهود ) (١) فلا جديد إذن فيما أورده صاحب " فى الشعر الجاهلى " سوى محاولة ترديد فكرة طالما رددها أعداء الإسلام قديماً .. وحديثاً فكلا الرجلين وجهين لعملة واحدة بشأن الطعن فى القرآن فاحدهما : وهو "جب " يرى القرآن (انطباعاً ) عن البيئة . والثانى : هو " د / طه حسين " يراه (تعبيراً ) عن البيئة ! فهل حقا كانت بيئة العرب صالحة لأن ينقل عنها محمد ويقلدها ويؤلف منها منهجاً متكاملاً هو دين الإسلام ؟؟ لنترك حقائق التاريخ وواقع البيئة يجيبنا عن ذلك الخلط العمد والكذب الواضح .. للمستشرقين واتباعهم.

## حقيقة البيئة والحياة الفكرية للعرب قبل البعثة المحمدية :

إن الإسلام لم تعجز مبادئه عن أن تبنى عقولاً تبين الحق الماثل فى دينها .. ليبطلوا دعوى صلاحية البيئة للاخذ عنه ، وذلك بتصوير حالها على ماهو عليه آن بعثة الرسول .. لذا نرى أحد الباحثين من علماء الإسلام يلقى الضوء على الحياة الفكرية للعرب فى الجاهلية فى فترة ما قبل مبعث النبى (ﷺ) فيقول :

( لقد وجد ناس يقولون إن العصر الجاهلى أخذ يستيقظ قبيل البعثة ... واخذت الافكار العربية تثور على مظاهر الشرك وعبادة الاصنام وما يحف بهما وينبعهما من خرافات الجاهلية ، ولقد تمثلت قمة هذه اليقظة والثورة ببعثة محمد (ﷺ) ودعوته الجديدة ؟ !

ومعنى هذه الدعوة ، أن التاريخ الجاهلى كان يزداد تفتحاً على حقائق التوحيد ونور الهدى مع امتداد الزمن وتطاول الدهر ..

فهل هكذا يقرر التاريخ ، أم أنه يقرر عكس ذلك تماماً فى ابسط ما تنطق به " الف باؤه " الواضحة المفهومة ؟

---

(١) ذيل الملل والنحل : ص ٨٦ .

كل باحث ومتأمل حر ، يعلم أن العهد الذى بعث فيه محمد (ﷺ) إنما كان أبعد العهود الجاهلية عن هديه (ﷺ) بالنسبة لسائر العهود الأخرى والأطلال التى كانت لدى العرب عند بعثته من معالم الحنيفية ومبادئها ، والتى كانت تتمثل فى لمع خاطفة من كراهية الأصنام والترفع عن عبادتها وفى النزوع إلى بعض الفضائل والقيم التى أقرها الإسلام ، هذه الأطلال لا تبلغ معشار ما كان بارزاً واضحاً منها لديهم قبل بضعة قرون .. ومن الجدير بالذكر أن تعلم أن الناس الذين يطيب لهم أن يزعموا هذا الزعم ، لا يسوقون بين يدى زعمهم هذا ولا من خلفه أى برهان أو دليل مهما كان نوعه ، إنما هو العرض المجرد لهذا التصور وبسطه فى عبارات مطوطة مكررة .. فتأمل ما تفعله العصبية العمياء بهؤلاء الناس ، تلك العصبية العجيبة التى كثيراً ما تحمل صاحبها على أن يتجرد حتى من مقومات كرامته وأن يتباله (١) أمام شوامخ الحقائق الناصعة كى لا يلزم بالخضوع لها .

إن بنية الفكر الدينى فى الإسلام بنظر " جب " إنما هى تلك العقائد والأفكار الغيبية عند العرب ، فقد تأمل محمد (ﷺ) فيها فغير ما أمكنه تغييره ثم عمد إلى الباقى مما لم يمكنه التخلص منه فكساه حلة الدين والإسلام .. تلك هى خلاصة أفكاره التى تقرأها من أولها إلى آخرها فلا تجده يقدم إليك دليلاً واحداً على شئ مما يقول وتتأمل فى هذا الذى يعرضه فلا تشك فى أن الرجل قد استودع قواه العقلية بعيداً عن المكان الذى جلس يكتب فيه ، واستعاض عنها بأوهام وخيالات خصبة راح يستوحى منهما كل ما يقرره ويحكم به .

وليس بعجيب أن يقرر " جيب " ما يطعن الإسلام ويهدمه ، ثم هو يعتذر بأن أفكاره ليست من بنات دماغه ، بل إنه أخذها عن كتاب مسلم والحقيقة أنه ليس أميناً فى بحثه وليس صادقاً فى دعواه (٢) .

---

(١) تباله : تصنع البلاهة ، والبلاهة : ضعف العقل ، وغلبت الغفلة . الوسيط ٧٣/١

(٢) لقد اختار باحثنا الإسلامى نموذجاً لهؤلاء المغالطين المستشرق الإنجليزى " جب " وهو من تعنى بقرد عليه – فى كتابه " بنية الفكر الدينى " وهناك نموذج ثانى ، ينادى بنفس الفكرة ، وهو : إرنست رينان . المستشرق الفرنسى . فى مقالة : "محمد ومصادر الإسلام " حيث يبرز فى مقاله ، شعب"

وهذا ينقض ما يتشدق به البعض من منهجية البحث وموضوعيته لدى علماء الغرب .. حين يتعرضون للعلوم الإسلامية ، بعصبية بغيضة.

لكن العجيب أن وجدنا تقليداً لهذا التعصب من بعض الإسلاميين !! وما رأى علماء التاريخ فى حياة العرب وصفاتهم الطبيعية؟ وماذا يصفون عقولهم ؟ فهاهو ابن خلدون ( ت٨٠٨ هـ - ١٤٠٦م ) الذى يعد أول فيلسوف وراند عبقري فى مجال الفلسفة الإجتماعية. يصف ما عليه حال العرب وخلقهم وطباعهم فى حياتهم ومعاملاتهم فيقول :

( العرب أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقاً وجبلة وكان عندهم ملذوذاً لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم وعدم الإنقياد للسياسة ، وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الأحوال كلها عندهم الرحلة والتغلب .. فطبيعتهم انتهاب ما فى أيدى الناس ، وأن رزقهم فى ظلال رماحهم وليس عندهم فى أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه ، بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه ) (١) فإذا كانت طباعهم .. الغلظة والسطو والقسوة فى معاملة الآخرين من سلب ونهب وتعدى على حقوق الغير . فكيف يسوس هؤلاء أحد من الناس ؟ بمعنى كيف تهذب أخلاقهم السيئة هذه ؟

---

= الجزيرة العربية موجداً ، التقت عنده جميع الديانات والحضارات ، لذا فهو شعب فى قمة النضج العقلى !!

ثم أخذ باحثنا المسلم الموضوعى فى عرضه للقضية ، فذكر دليل غريم "جب" للنص العربى الإسلامى الذى ينقل عنه ، ثم هو يتخابث بأن أفكاره إسلامية المصدر ، راجع : فقه السيرة : للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطى ، المقدمة ص٤١ - ٤٥ بتصرف واختصار ، ط٧ - دمشق عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

(١) مقدمة ابن خلدون : للعلامة : عبد الرحمن بن خلدون المغربى - ص ١٠٥-١٠٦ ، طبعة دار ابن خلدون - الإسكندرية مصر . ب . ت .

يجيبنا ابن خلدون تحت عنوان : فصل فى العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة .

فيقول : ( إنهم – أى العرب – لخلق التوحش الذى فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض ، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة فى الرياسة ، فقلما تجتمع أهواؤهم .. فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة الوازع عن التحاسد والتنافس .

فإذا كان فيهم النبى أو الولى الذى يبعثهم على القيام بأمر الله ، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق ثم اجتماعهم "(١)

الوسيلة الناجعة فى تهذيب خلق التوحش عند العرب وغلظتهم.. الخ المرشد الدينى – نبى أو ولى – هذا هو تشخيص الداء ووصف الدواء ، حسبما يقرره أوحد زمانه الاعرف بطبائع البلدان وأخلاق ساكنيها وأهوائهم فلسنا ندرى من أين لـ " جب " أن البيئة العربية احتوت معارف وأفكار استمد منها محمد دينه الجديد ؟ وهل هو أعرف ببيئة لم يتح له معايشتها ولا ممارسة أهلها .. من باحث متخصص من نفس البيئة عاش فيها وعامل أهلها ، وتبصر طباعهم ولاحظ أخلاقهم ؟

إننا ندع الحقائق تنطق بكذب ادعاء " جب " ومقلديه !! وعندئذ لنا أن نتساءل : ماهى الصورة الحقيقية للحياة العربية فى الجاهلية ، بمعنى : هل توجد مُثُلٌ لغلظة طباع الإنسان العربى وسوء خلقه وقلة معارفه وانحطاط فكره قبيل بعثة محمد (ﷺ) ؟ وبمعنى أوضح : كيف كان اعتقاد العربى وفكره قبيل البعثة المحمدية ؟

---

(١) المصدر السابق : ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

**فأما عن الجانب الإلهى : أى عقيدتهم فى الله سبحانه وتعالى :** فلقد كان العرب يطمسون التوحيد الحق وهو الإعتقاد بوجود إله واحد متصف بصفات الكمال ، خالق كل شئ فى الوجود ، تخضع لإرادته جميع المخلوقات .

كان العرب يمزجون هذا الإعتقاد بكم غير قليل من الأوهام والخرافات والأساطير والتفكير الساذج الذى لا يهتدى بمنهج قويم .

يقول الدكتور : دراز : ( هذا التوحيد الأولى – الإعتقاد الصحيح – أو هذه الديانة الفطرية - كما يسميها القران (١) – لم تكن – عند العرب – إلا فكرة نظرية محجوبة ومغمورة فى الواقع تحت معتقدات وعبادات كانت تؤدى إلى عدد لا يحصى من الآلهة (٢) . فهم لا يدعون الله الواحد إلا إذا ألم بهم خطر كبير (٣) ولا يقدمون له من القرابين إلا ما قل وحقر (٤) . ولاتصالهم الوثيق بالطبيعة ومظاهرها المختلفة . كانوا ينسبون إلى النجوم (٥) والكواكب (٦) بعض الفضل وكانوا يخرون لها ساجدين .

---

(١) قال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) سورة الروم : اية ٣٠ .

(٢) قال تعالى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ) سورة يوسف :اية ١٠٦ .

(٣) قال تعالى : (حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) سورة يونس : اية ٢٢ .

(٤) قال تعالى : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) سورة الأنعام : اية ١٣٦

(٥) قال تعالى : (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ) سورة النجم : اية : ٤٩ .

(٦) قال تعالى : (لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) سورة فصلت : اية ٣٧ .

أما بين الله الواحد وبين الناس فقد ابتكروا قوى وسيطة قادرة على أن تقرب الناس إلى خالقهم (١) .أو تشفع لهم عنده (٢) . ولهذا كانوا يعبدون الملائكة (٣) ويزعمون أنهم بنات الله . أما الأوثان (٤) والانصاب(٥) التى كانت تتنبأ لهم بخفايا الأمور أو ترمز – فى نظرهم – إلى بعض الآلهة المستترة ، فقد حظيت مع مرور الأيام بنفس التقديس والعبادة التى كانت لله .

ولقد استطاعت العقليات الخيالية أن تخترع تدريجيا عدداً لا يحصى من الآلهة الصغيرة التى وضعوها فى مرتبة أقل من الخالق ، وجعلوا لها اختصاصات محدودة تناسبها، إذ قياساً على أمور الناس لم يستطيعوا أن يتصوروا ملكاً ليس له معاونون وحاشية يستحقون التقديس والعبادة . ولقد احتفظ لنا الأثر من هذا الإعتقاد العجيب – حيث تحد الآلهة علوكة لله الخالق وشريكة له فى نفس الوقت – ببعض الصيغ التى كان الحجاج الوثنيون يتلهون بها أثناء الحج :

" لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك "

فالقول بأن الآلهة إله واحد كان فى نظرهم قولاً عجيباً (٦) وكاذباً، لدرجة أنهم زعموا أنهم لم يسمعوا به فى مجتمعهم ، ولا فى الديانات

---

(١) قال تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) سورة الزمر : آية ٣ .

(٢) قال تعالى : (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ) سورة يونس : آية ١٨ .

(٣) قال تعالى : (وَجَعَلُوا الْمَلآئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) سورة الزخرف : آية ١٩ .

(٤) قال تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) سورة الحج : آية ٣٠ .

(٥) قال تعالى : (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) سورة المائدة : آية ٩٠ .

(٦) قال تعالى : (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) سورة ص : آية ٥ .

السماوية السابقة (١) اى فى المسيحية التى انتقلت إلى الجزيرة العربية من الشمال ومن الجنوب (٢)

فهل يصح أخذ محمد عقيدة الإسلام فى الله تعالى عن هذه الإعتقادات ؟ إن الإعتقادين متباعدان جداً ، ولا يلتقيان البتة .. بيد أن "جب" وأذياله يأبون إلا هذا الاخذ المزعوم ، والتى يقف فكر العرب قبيل البعثة الخاتمة وانحراف عقيدتهم الإلهية حائلاً .. دون ما يريد "جب" لعنة الله على التعصب الذى يعمى الأبصار والبصائر .. عن رؤية الحق

وإذا كانت بيئة العرب حسبما وقفنا على جانب منها وهو العقيدة الإلهية غير ملائمة لأن يقتبس منها الدين الجديد ، وهذه حقيقة مؤكدة رغم أنف المستشرقين .. لكن إذا اقتربنا من البيئة العربية وتأملنا واقع حياتهم وبحثنا فى أعماقهم ، أما نجد عندهم ، من الجوانب الخلقية والإجتماعية ما يتأثر به محمد ؟

## إطلاله عابرة على حياة العرب الخلقية والإجتماعية قبيل البعثة المحمدية الخاتمة ؟

إذا كنا قد وجدنا - حسب الادلة والقرائن - تنائياً واغتراباً بين الإعتقادين فى الجانب الإلهى بين ما قرره الإسلام (٣) وبين ما كان شائعاً معروفاً فى البيئة الجاهلية للعرب قبل البعثة الخاتمة .

فمن الإنصاف أن نلقى بنظرة - فى عجالة - على واقع حياة العرب الخلقية والإجتماعية فى فترة ما قبل البعثة ، لنرى هل كان فيها

(١) قال تعالى : (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) سورة ص آية ٧

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم : د / دراز - ص ٧٤-٧٦

(٣) الجانب الإلهى فى الإعتقاد لدى المسلم ، واضح لا غموض فيه .. قال تعالى : ( قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ) وقال عز من قائل : ( ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ) سورة الشورى آية ١١

من المبادئ الحسنة والصفات الحميدة ما يدعو محمداً (ﷺ) لأن يتأثر بها وينقل عنها فى دينه الجديد أم لا ؟؟

إن الجانب الخلقى والإجتماعى فى الجاهلية نستطيع أن نتعرف عليه مما يلى :

لقد كان من عادات العرب أنهم يئدون البنات (١)، ويزنون بالمحرمات(٢) ، ويعضلون الأيامى (٣) ، ويظلمون اليتامى (٤) ، ويجبذون البغاء (٥) ، ويسرفون فى الرياء (٦) .

ومن شعر العرب ما يدل على ما كان متعارفاً بينهم ، من الكبر والتعالى ، وعدم احترام آدمية الإنسان ، ما يقوله أحدهم :

إذا بلغ الفطام لنا رضيع  تخر له الجبابر ساجدينا

ونشرب إن وردنا الماء صفوا  ويشرب غيرنا كدراً وطينا

فهل فيما نراه عند العرب فى الجاهلية من عادات خلقية واعراف اجتماعية ، يتفق وما قرره الإسلام عنها ؟ الجواب .. كلا !!

---

(١) قال تعالى : (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ) سورة التكوير : اية ٨ ، ٩ .

(٢) قال تعالى : (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ...) سورة النساء : اية ٢٢ .

(٣) قال تعالى : (لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ) النساء : اية ١٩ ، فالإعضال : المنع من الزواج ظلماً .

(٤) قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ...) سورة النساء : اية ١٠ .

(٥) قال تعالى : (وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا...) سورة النور اية ٣٣

(٦) قال تعالى : (لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ) سورة البقرة : اية ٢٦٤

إن البون شاسع والتناقض واقع بين خلق الإسلام وعرفه ، وبين ما شاع عند العرب فى الجاهلية ، هذه حقيقة مؤكدة لمن له أدنى معرفة بالإسلام ، لقد أنكر الإسلام جملة وتفصيلاً ما عليه حياة العرب فى الجاهلية (١)، وحذر اتباعه من الركون إليها وعاكاتها (٢) . لقد نعتهم الإسلام فيما هم عليه عقيدة وأخلاقاً " بالضلال المبين " فى قوله سبحانه : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(٣) .

نعم كان العرب قبل الإسلام " فى ضلال مبين " لانهم قديماً كانوا متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله .

---

(١) والجاهلية ... نوعان : جاهلية أولى ، جاهلية ثانية أو الأخرة .

والجاهلية الأولى : هى القديمة التى تسمى : الجاهلية الجهلاء .. وهى الزمن الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام ، وقيل : ما بين آدم ونوح ، وقيل ما بين إدريس ونوح ، وقيل : زمن داود وسليمان ، وفيها كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال .

والجاهلية الثانية : هى ما بين زمن عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

وهناك تقسيم آخر للجاهلية هو :

الجاهلية الأولى : قبل الإسلام ، جاهلية الكفر .

والجاهلية الثانية : بعد الإسلام ، وهى جاهلية الفسوق والفجور .

وعليه فمعنى الآية : ولا تحدثن بالتبرج جاهلية فى الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر ، ويعضد هذا المعنى : ما روى أن رسول الله (ﷺ) قال لأبى الدرداء -رضى الله عنه : إن فيك جاهلية ، قال : جاهلية كفر ام إسلام ؟ فقال (ﷺ) : بل جاهلية كفر . راجع الكشاف للزمخشرى : ج٣ -ص ٢٢٥ طبعة دار المعرفة - بيروت - ب.ت. وتفسير مفاتيح الغيب : ج٢٥ - ص ١٨١ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت عام ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م ، وتفسير ابن كثير : ج٤ - ص ٤٨٣ - طبعة مكتبة دار التراث - القاهرة - ب. ت .

(٢) قال تعالى : (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ) سورة الأحزاب : اية ٣٣ .

وقال تعالى : (حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) سورة الفتح : اية ٢٦

(٣) سورة الجمعة : اية رقم : ٢ .

وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها ، فبعث الله محمدا (ﷺ) بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم ، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم والنهى عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى ، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب فى الأصول والفروع (١)

ولسنا نزعم أن العرب كانوا خلواً عن العلم والمعرفة ، كلا ..!! وإنما نعنى كانوا يدينون بعقيدة باطلة وأخلاق مرذولة ، يأباها الذوق وينكرها الطبع السليم ، فكيف تكون ديناً والذى نما إلينا عن فكرهم وعلومهم ، إنما هو بعض ما يتعلق بالفلك والطب ، وأساطير عن الجن والشياطين ، مع عنايتهم بالشعر والنثر بحسب بيئتهم ، واتصالهم بالأمم المجاورة ، ( لقد كانت لديهم معارف فلكية وطبيعية متصلة بمعارف الكلدانيين والصابئة ، ومعارف طبية تجريبية مصحوبة بالرقى والعزائم والتمائم ، وأساطير زاخرة بأخبار الجن والسعالى والغيلان والشياطين ، وأمثال وحكم تدل على منازعهم العقلية ، وشعر فى الزهد تغلب عليه العناصر الخلقية والروحية ، ولكن ذلك كله لا يؤلف مذاهب فلسفية كاملة ؛ لأن التفكير الفلسفى لم يبدأ عندهم إلا بظهور الإسلام ) (٢)

وإذا كان مورد هذا النص فى معرض حقيقة وجود الفكر الفلسفى عند العرب وأصالته ، فإن الذى يعنينا هو أن جُلّ (٣) معرفتهم هو ما أشار إليه النص السابق، أى أنها لا تصلح للأخذ عنها .

---

(١) راجع تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير - ج٤ - ص ٣٦٢ . وانظر مفاتيح الغيب - للرازى - ج٢ ص ٤ .

(٢) تاريخ الفلسفة العربية : د / جميل صليبا - ص ١٥ ، ١٦ .

(٣) لا يناقض ما ذهبنا إليه ، أن من العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وينتظر النبوة ، وكانت لهم سنن وشرائع ، كزيد بن عمرو بن نفيل ، وأمية بن أبى الصلت ، وقس بن ساعدة ، وعامر بن الظرب وغيرهم . فقد كان هؤلاء حالات فردة ، سوى أن حال المجتمع عامة " الضلال المبين " راجع الملل والنحل ، للشهرستانى - ج ٢ - ص ٢٤١ وما بعدها .

وإذا كان التاريخ لم يبين حقيقة المعارف المدونة ، التى كانت تتوفر عند هذا الشعب الأمى الغافل ، فكل ما نستطيع عقلاً أن ننسبه إليه يجب ألا يتعدى بعض المعلومات المبهمة والبدائية ، والتى لا توصل إلى معرفة مصدر الحقائق القرآنية ، بما اتصف به من اتساع ودقة وعمق .

والواقع أن تصور العرب فى عصر " الجاهلية " كانوا على درجة من العلوم والمعارف ، بحيث تمكنهم وتؤهلهم للمشاركة فى العلوم التى اقتصر العلم فيها على فئة قليلة من العلماء فى ذلك الوقت ، تعد فكرة شاذة لا تتفق والواقع الفعلى للبيئة العربية .

على أن القرآن فى عرضه للحقائق كان يبين للنبى محمد (ﷺ) وقومه معه أنهم لم يكونوا على علم بما يقرره ويقوله (١)

واستبعاداً لتأثر محمد نبى الإسلام فى حقائق القرآن بمعلومات العرب ومعارفهم يقول الدكتور / دراز :

( وحتى على فرض تسرب بعض التفاصيل إلى معارف العرب البدائية ، هل كان يستطيع محمد أن يثق بكل بساطة فى علم الجماهير؟ وهو الذى كان يقف مما يرويه العلماء موقف التحدى ؟

ونظراً لأن الأفكار التى كانت رائجة فى هذا المجتمع الدينى الكبير لم يكن لها اتجاه واحد ، بل كان لكل من المشركين والصابئين ، ورجال الدين ، والفرس ، واليهود والنصارى ، أسلوبهم الخاص فى عرض الحقيقة ! ففى أى فريق من هؤلاء كان الرسول يستطيع أن يضع ثقته؟ وعلى أى دعوة من هذه المتناقضات يعتمد ؟

---

(١) قال تعالى : (تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا) سورة هود : آية ٤٩ – راجع : مدخل إلى القرآن الكريم : ص ٤٦ بتصرف .

وهب أنه حرص على أن يقص علينا عقيدة كل طائفة ، وكل مذهب وكل فرع من تلك المذاهب المعاصرة ، فأى خليط (١) مخيف كنا سنجده فى القرآن ؟ ) (٢)

من الأدلة المتقدمة بات واضحاً أن بيئة العرب وواقع حياتهم – عقيدة وأخلاقاً وأعرافاً – لا يصلح فى نفسه ، فكيف يتأسى به ويأخذ عنه الغير ؟ بل كيف يسيغ العقل جعله للناس ديناً .. هو خاتم الرسالات؟

إننا والحال هذا يكون قد بان لكل منصف .. مدى تهافت دعوة "جب" ، وصاحب " فى الشعر الجاهلى " تأثر القرآن بالبيئة التى عاش بها محمد (ﷺ) .

## شهادة لباحث غير مسلم بأن القرآن ليس بشرياً .. ولم يتأثر بثقافة البيئة التى نزل بها .

هذه شهادة لباحث منصف للحقيقة العلمية ، ألا وهو الدكتور موريس بوكاى الذى يشرح كيف بدأت صلته بالقرآن للنقد والاختبار ثم قادته الحقائق إلى الإقرار ببطلان دعوى : أن القرآن تأليف يعزى إلى محمد.. فيقول : ( وقد كان غرضى الأول منصباً على قراءة القرآن وعلى اختبار نصه ، عبارة عبارة ، بمساعدة تفسيرات مختلفة لا يستغنى عنها فى دراسة نقدية ، وقد أعرت انتباهاً خاصاً جداً ، لما يعطيه من وصف لعدد من الظواهر الطبيعية .

لقد أدهشنى دقة بعض تفاصيل الكتاب المندرجة فى النص الأصلى بسبب توافقها مع أحداث مفاهيمنا اليوم ، والتى لا يمكن لإنسان فى عصر محمد أن تكون له عنها أية فكرة ...

---

(١) وصدق الله العظيم إذ يقول : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) سورة النساء : ٨٢ .

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم : د / محمد عبد الله دراز – ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

والذى يدهش فكر من يواجه مثل هذا النص – القرآنى – للمرة الأولى ، هو غزارة الموضوعات المطروحة ، مثل : الخلق ، والفلك ، وعرض بعض الموضوعات الخاصة بالأرض ، وجنس الحيوان والنبات ، وتكاثر الإنسان ، تلك الأمور التى نجد عنها فى " التوراة " دون نص القرآن أخطاء علمية كبيرة ، تحملنى على التساؤل :

إذا كانت كاتب القرآن بشراً ، فكيف أمكنه فى القرن السابع الميلادى كتابة ما يثبت أنه اليوم متفق مع المعارف العلمية الحديثة ؟

وليس ثمة أى شك فى أن النص الذى بين أيدينا للقرآن هو نص ذلك العصر ، فما هو التفسير الإنسانى لهذه الملاحظة ؟!

ليس لها فى رأيى أى تفسير ، إذ ليس من سبب خاص للتفكير بأن ساكناً لشبه الجزيرة العربية ، أمكن أن تكون له فى الوقت الذى كان يحكم فى فرنسا الملك " داجوبير " ثقافة علمية سابقة على قرننا الحاضر فى بعض الموضوعات بعشرات القرون ) (١) لقد انتهى هذا الباحث المحايد من خلال مقدمات الموضوع المبحوث فيه – أصل القرآن ومصدره – إلى نتيجة صادقة مؤداها : أن ما يشتمل عليه نص القرآن منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان ، من صور علمية يقينية عن الخلق ، والفلك ، والنبات ، والحيوان .. وغيرها ، من دواعى صدق رسول الإسلام محمد أنه أنزل عليه من عند الله ...!!

وهذا شاهد حق (٢) من غير المسلمين ، يرى من خلال مطالعته للحقائق التاريخية ، بخلاف ما رآه " جب " ومن دار فى فلكه .

حيث يقول : ( وجاء محمد فى أشد الأعصر ظلمات ، حينما كانت المدنيات بأجمعها قد تداعت إلى الخراب ، حتى انطلق الفم النورانى

---

(١) المصدر السابق : ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(٢) هو : أميل : د / منجم : أحد أعلام فرنسا ومفكريها وعلمائها ، من كبار المفكرين الموضوعيين ، وهو من المنصفين للإسلام ، مع ماهو معلوم عن تعصب الفرنسيين ضد الإسلام .

وهب أنه حرص على أن يقص علينا عقيدة كل طائفة ، وكل مذهب وكل فرع من تلك المذاهب المعاصرة ، فأى خليط (١) فيف كنا سنجده فى القرآن ؟ ) (٢)

من الأدلة المتقدمة بات واضحاً أن بيئة العرب وواقع حياتهم – عقيدة وأخلاقاً وأعرافاً – لا يصلح فى نفسه ، فكيف يتأسى به ويأخذ عنه الغير ؟ بل كيف يسيغ العقل جعله للناس ديناً .. هو خاتم الرسالات؟

إننا والحال هذا يكون قد بان لكل منصف .. مدى تهافت دعوة "جب" ، وصاحب " فى الشعر الجاهلى " تأثر القرآن بالبيئة التى عاش بها محمد (ﷺ) .

## شهادة لباحث غير مسلم بأن القرآن ليس بشرياً .. ولم يتأثر بثقافة البيئة التى نزل بها .

هذه شهادة لباحث منصف للحقيقة العلمية ، الا وهو الدكتور موريس بوكاى الذى يشرح كيف بدأت صلته بالقرآن للنقد والاختبار ثم قادته الحقائق إلى الإقرار ببطلان دعوى : أن القرآن تأليف يعزى إلى محمد.. فيقول : ( وقد كان غرضى الأول منصباً على قراءة القرآن وعلى اختبار نصه ، عبارة عبارة ، بمساعدة تفسيرات مختلفة لا يستغنى عنها فى دراسة نقدية ، وقد أعرت انتباهاً خاصاً جداً ، لما يعطيه من وصف لعدد من الظواهر الطبيعية .

لقد أدهشنى دقة بعض تفاصيل الكتاب المندرجة فى النص الأصلى بسبب توافقها مع أحداث مفاهيمنا اليوم ، والتى لا يمكن لإنسان فى عصر محمد أن تكون له عنها أية فكرة ...

---

(١) وصدق الله العظيم إذ يقول : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً) سورة النساء : ٨٢ .

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم : د / محمد عبد الله دراز – ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

والذى يدهش فكر من يواجه مثل هذا النص – القرآنى – للمرة الأولى ، هو غزارة الموضوعات المطروحة ، مثل : الخلق ، والفلك ، وعرض بعض الموضوعات الخاصة بالأرض ، وجنس الحيوان والنبات ، وتكاثر الإنسان ، تلك الأمور التى نجد عنها فى " التوراة " دون نص القرآن أخطاء علمية كبيرة ، تحملنى على التساؤل :

إذا كانت كاتب القرآن بشراً ، فكيف أمكنه فى القرن السابع الميلادى كتابة ما يثبت أنه اليوم متفق مع المعارف العلمية الحديثة ؟

وليس ثمة أى شك فى أن النص الذى بين أيدينا للقرآن هو نص ذلك العصر ، فما هو التفسير الإنسانى لهذه الملاحظة ؟!

ليس لها فى رأيى أى تفسير ، إذ ليس من سبب خاص للتفكير بأن ساكناً لشبه الجزيرة العربية ، أمكن أن تكون له فى الوقت الذى كان يحكم فى فرنسا الملك " داجوبير " ثقافة علمية سابقة على قرننا الحاضر فى بعض الموضوعات بعشرات القرون ) (١) لقد انتهى هذا الباحث الحايد من خلال مقدمات الموضوع المبحوث فيه – أصل القرآن ومصدره – إلى نتيجة صادقة مؤداها : أن ما يشتمل عليه نص القرآن منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان ، من صور علمية يقينية عن الخلق ، والفلك ، والنبات ، والحيوان .. وغيرها ، من دواعى صدق رسول الإسلام محمد أنه أنزل عليه من عند الله ...!!

وهذا شاهد حق (٢) من غير المسلمين ، يرى من خلال مطالعته للحقائق التاريخية ، بخلاف ما رآه " جب " ومن دار فى فلكه .

حيث يقول : ( وجاء محمد فى أشد الأعصر ظلمات ، حينما كانت المدنيات بأجمعها قد تداعت إلى الخراب ، حتى انطلق الفم النورانى

---

(١) المصدر السابق : ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(٢) هو : أميل : د / منجم : أحد اعلام فرنسا ومفكريها وعلمائها ، من كبار المفكرين الموضوعيين ، وهو من المنصفين للإسلام ، مع ماهو معلوم عن تعصب الفرنسيين ضد الإسلام .

بالوحى الإلهى الذى أنزله الله قرآنا على محمد ، النبى ، بحسب الوقائع ووفقاً للضرورات ، ولمصلحة الامة ) (١)

ودونك شاهد آخر يظهر كيف حول محمد (ﷺ) الأمة التى بعث فيها من الغلظة والتحجر إلى الرافة والتحضر ، وكيف انتقل بهم من تيه فى دياجير الظلمات إلى هداة للامم وقادة للحضارات .

يقول " موير " (٢) : ( ولقد صنع محمد امة من قوم كانوا من قسوة القلب والبداوة بحيث يصعب التاثير فيهم ، فاصبحوا كما أراد الإسلام ونبى الإسلام ..

وراحوا يملئون العالم بعد ذلك علماً ونوراً ، بعد أن كانوا من الجهالة والجاهلية بحيث لم يسمع بهم أحد .. فاصبحوا بمحمد والإسلام قوة راسخة ، سيكون لها المستقبل الوافر ، لو تضافرت وعملت بكتاب الله، الذى أنزله الله على محمد ، ليبعث به قوماً يديرون العالم بشريعته ذات يوم ، لو تمسكوا به وعرفوا قيمته ) (٣)

أعتقد أن شبهة " بشرية القران " أضحت أثراً بعد عين – لا وجود لها سوى فى أوهام دعاته – لا سيما والحقائق ملزمة، والادلة ظاهرة ناطقة ببطلان خرافة : إن القران من تأليف محمد !!

وهذا ما يدفعنا إلى عرض الشبهة التالية ودحضها إن شاء الله تعالى . فاقول وبالله التوفيق :

---

(١) الإسلام ورسوله فى فكر هؤلاء : ١ / أحمد حامد – ص ٥١ – ط دار الشعب – القاهرة – بـ ت .

(٢) هو : السير وليم موير : اسكتلندى . ولد عام ١٨١٩ م . درس الحقوق فى جامعتى أدنبرة ، وجلاسجو . وصل إلى منصب " رئيس جامعة أدنبرة " لما كان يتمتع به من حسن إدارة علاوة على عقليته ومعرفته الموسوعية بدأ يبحث عن الإسلام ، فى بداية وجوده بالهند عام ١٨٣٧ م ، درس سيرة النبى والتاريخ الإسلامى وغيرها كثير ، مات عام ١٩٠٥ م .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٣ .

## المبحث الرابع

## شبهة : أن محمداً تعلم القرآن ، من بحيرى الراهب أو..ورقة ابن نوفل ، أو..غلام رومى يسمى "جبرًا"

من الشبهات التى تثار حول القرآن الكريم ، لتوهين صلة المسلمين به ومحاولة تجريده من صفة القداسة والحفظ الإلهى ..

شبهة .. أن محمداً تعلم القرآن من بعض الأشخاص .. كـ بحيرى الراهب ، أو .. ورقة بن نوفل ، أو .. غلام رومى .

## الرد على شبهة : أن القرآن ليس وحياً إلهياً بل هو تأليف بشرى ، قام به محمد بواسطة ، بعض الأشخاص ومنهم :

### ١ – بحيرى الراهب : –

ذكر " ابن هشام " قصة رسول الله (ﷺ) " مع بحيرى الراهب " فحكى عن ( ابن اسحاق ) قوله : ثم إن أبا طالب ، خرج فى ركب تاجراً إلى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صب (١) به رسول الله (ﷺ) فيما يزعمون فرق له ، وقال : والله لأخرجن به معى ، ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال فخرج به معه (٢) ، فلما نزل الركب " بصرى " من أرض الشام ، وبها راهب يقال له "بحيرى " (٣) وكان ركب قريش بمر كل عام على " بحيرى " وهو فى صومعته فلا يكلمهم حتى كان عام ذهاب رسول الله (ﷺ) إلى أرض الشام ، فصنع لهم " بحيرى " طعاماً ، لأنه رأى الرسول وهو فى صومعته فى الركب ، ورأى الغمامة تظله ، ورأى

---

(١) الصبابة : رقة الشوق ، يقال : صببت – بكسر الباء – أصب ، ويذكر عن بعض السلف انه قرأ : ( أصب إليهن وأكن من الجاهلين ) وفى رواية : ضبت به رسول الله ، أى لزمه .

(٢) كان رسول الله (ﷺ) إذا ذاك ابن تسع سنين ، وقال الطبرى : ابن ثنتى عشرة سنة

(٣) السيرة النبوية : لابن هشام – ج١ –ص ١٢٩ – تحقيق د / محمد فهمى السرجانى – ط١ المكتبة التوفيقية – القاهرة – ب . ت .

تهرص (١) الشجرة عليه حتى استظل تحتها ، فدعاهم إلى طعامه ، فلما رأى " بحيرى" رسول الله (ﷺ) جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى ، وكان هذا الحوار بين رسول الله – أحدث القوم سناً – وبين " بحيرى " الراهب ، قال بحيرى : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى ، إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما .

فزعموا أن رسول الله (ﷺ) قال : لا تسألنى باللات والعزى شيئاً فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما ، فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، فقال له : سلنى عما بدا لك ، فجعل يسأله عن أشياء من حالة نومه وهيئته وأموره ، فجعل رسول الله (ﷺ)يخبره ، فيوافق ذلك ماعند بحيرى من صفته ، ثم نظر إلى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التىعنده .. قال ابن إسحاق : فلما فرغ، أقبل على عمه – أبى طالب – فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى قال له بحيرى : ماهو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ، قال : فإنه ابن أخى ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ،قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود، فوالله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شان عظيم ، فأسرع به إلى بلاده فخرج به عمه أبو طالب سريعاً ، حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام (٢)

هذه قصة " بحيرى " مع رسول الله (ﷺ) لا غموض فيها يدعو إلى شك وليس فيها تعمد من رسول الله (ﷺ) للقاء بحيرى ، بل إن الرجل "بحيرى " هو الذى تحايل على غير عادته مع ركب قريش ، بناء على ما عنده من صفة النبى الخاتم ، حتى يرى رسول الله ، ويسأله عن بعض الأشياء التى تؤكد ما علمه عن صفات ذلك الرسول الخاتم ، وقد تأكد

---

(١) تهرصت : مالت وتدلت .

(٢) المصدر السابق ، ج١ – ص ١٣٠ ، ١٣١ .

بالفعل من خلال بعض الأسئلة أن ذلك الغلام هو النبى المنتظر ، وهو المبشر به فى التوراة والإنجيل (١) وتحت عنوان ( دعوى الأخذ عن بحيرى الراهب ) .

قال الشيخ : رشيد رضا : ( سمعنا من بعض الرهبان أنه " اى بحيرى " كان معلماً لمحمد ومصاحباً له بعد رسالته ، وأن محمداً ما حرم الخمر إلا لأنه قتل أستاذه " بحيرى " وهو سكران وأسرفوا فى هذا الإفتراء والبهتان ، وكل ما عرفه المسلمون من رواة السيرة النبوية أن النبى (ﷺ) لما خرج مع عمه أبى طالب إلى الشام وهو ابن تسع سنين وقيل ١٢ – اثنتى عشرة – راه هذا الراهب مع قريش ، ورأى سحابة تظلله من الشمس ، وذكر لعمه أنه سيكون له شأن وحذره عليه من اليهود ، وفى المسألة روايات أخرى بمعناها ضعيفة الأسانيد ، إلا رواية للترمذى ليس فيها اسم بحيرى ، وفيها غلط فى المتن وليس فى شئ من تلك الروايات أنه (ﷺ) سمع من بحيرى شيئاً من عقيدته أو دينه ) (٢)

وعن قضية أخذ محمد (ﷺ) عن بحيرى ، عقائد الإسلام وتشريعاته نرى أحد المستشرقين وهو "هورات" يستبعد هذه الفكرة ، باعتبار حداثة سن محمد (ﷺ) بل إنه يعتبر القصة كلها أسطورة ، حيث كان محمد فى جواره مع " بحيرى " مسئولاً ، لا مستمعاً وهذا قوله :

( وسوف لا نعول كثيراً على قصة الراهب بحيرى الواردة فى الاثر، والتى تذكر أن محمداً قابله وهو فى الثانية عشرة من عمره – وقيل تسع سنين – عندما صاحب عمه أبا طالب فى سفره إلى سوريا ، فالصواب يمنعنا من الأخذ بهذه المقابلة العارضة ، واعتبارها مصدراً لتعليم محمد ؛ لان الحادثة إما انها أسطورية أو أنه يتعين علينا أخذ كل الوقائع التى تذكرها فى الحسبان ، وحينئذ نجد أن القصة تذكر أن هذه المقابلة كانت فى حضور جميع أفراد القافلة ، وأن محمداً كان فى دوره " مسئوولاً " لا

---

(١) كما فى قول الله تعالى : (النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ) سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

(٢) الوحى المحمدى : للشيخ / محمد رشيد رضا – ص ٤٩ .

مستمعاً ، وبانتهاء الإستجواب خلص الراهب الى نبوءة مضمونها : توقع بعثة هذا الشاب رسولاً فى المستقبل ، إن الفكرة إذن تفند نفسها )(١)

فمن الغريب ما يتخيله الحاقدون على الإسلام من تعليم " بحيرى " لـ " محمد (ﷺ) " وهو لم يزل فى التاسعة أو الثانية عشرة من سنى عمره ! ! إن مسألة تعليم " بحيرى" لـ "محمد " النصرانية .. تدعو للحيرة والتساؤل ، إذ أنه .. كيف لصبى صغير أن يستوعب ديانة بكاملها فى لقاء عابر لم يستمر إلا لدقائق ؟ وما الذى يدفع بحيرى لاختيار هذا الصبى الصغير خاصة من بين القافلة جميعها لتعليمه النصرانية ؟ ولماذا انتظر محمد ثلاثين عاما بعد هذا اللقاء لإعلان دعوته ؟ إن هذه القصة محيرة ؛ لغرابة ما يلصق بها من دعاوى ، يستبعدها العقل .

وعدم معقولية جعل " بحيرى " تكأة للطعن فى مصدر الدين الخاتم ، حدا بالبعض ممن يحترم عقله كـ " هوارت " إلى جعل الحادثة وهى التعلم – أسطورة بعيدة عن دائرة العقل ، إذن فالمقابلة لا تقوى للطعن فى القرآن .

## ب – ومن الأشخاص الذين يعزى إليهم تعليم القرآن لـ محمد (ﷺ) رسول الإسلام :

### ورقة بن نوفل :

فما صلة هذا الرجل بمحمد (ﷺ) ؟

بعد أن أنزل جبريل بالوحى على محمد (ﷺ) أول مرة ، واقرأه ، إقرأ باسم ربك الذى خلق إلى قوله تعالى ألم يعلم . فقص الرسول (ﷺ) على زوجه " خديجة " ما كان من جبريل معه ، فقامت فجمعت عليها

---

(١) إقرأ مقال "هورات " بالجريدة الأسبوعية عدد يوليو أغسطس ١٩٠٤ م بعنوان " مصدر جديد للقرآن " حيث ورد مايلى بالخاتمة : ( لا تسمح النصوص العربية التى عثر عليها ونشرت وكتبت منذ ذلك الوقت بأن نرى فى النور المسند إلى هذا الراهب السورى إلا مجرد قصة من نسيج الخيال ) راجع : مدخل إلى القرآن الكريم : د / محمد عبد الله دراز – ص ١٣٤ .

قصى، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله (ﷺ) أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس ، والذى نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتينى يا خديجة : لقد جاءه الناموس (١) الاكبر الذى كان يأتى موسى.. وأنه لنبى هذه الأمة ، فقول له : فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول الله (ﷺ) فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله (ﷺ) جواره وانصرف (٢) ، صنع كما كان يصنع : بدأ بالكعبة ، فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة (٣) فقال : يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت ؟ فأخبره رسول الله (ﷺ) ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ، ولتكذبنه ، ولتؤذينه ، ولتخرجنه ، ولتقاتلنه ، ولئن انا أدركت (٤) ذلك اليوم لانصرن الله نصراً يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله (ﷺ) إلى منزله )(٥)

وتعقيباً على لقاء " ورقة بن نوفل" ومحمد (ﷺ) يقول أحد الباحثين المحدثين : ( أثبت علماؤنا ، أن لقاء ورقة بمحمد (ﷺ) كان اللقاء الأول والأخير ، الأول أفادته النصوص القاطعة – كابن هشام مثلاً – والأخير لأن حياة ورقة لم تدم طويلاً بعد ذلك (٦)

---

(١) الناموس : صاحب سر الملك وقال بعضهم : هو صاحب سر الخير ، والجاسوس : صاحب سر الشر .

(٢) كان رسول الله (ﷺ) يجاور فى حراء من كل سنة شهراً ، وذلك مما تحنث به قريش فى الجاهلية .

(٣) جاء فى البخارى : ( أن خديجة انطلقت برسول الله إلى ورقة .. وكان شيخاً كبيراً قد عمى ) ج١ – ص ٣٠ .

(٤) وفى الحديث : ( إن يدركنى يومك ..) وهو التباس : لأن ورقة سابق ، والسابق يدركه من يأتى بعده .

(٥) السيرة النبوية : لابن هشام – ج١ – ص ٢٧٣، ٢٧٤ . وانظر الطبقات الكبرى : لابن سعد ١/ ١٩٥ .

(٦) الوحى القرانى فى المنظور الإستشراقى ونقده : د / صمود ماضى – ص ١٢١ ، ١٢٢ .

وكذلك قيل عن ورقة أيضاً : ( أنه مات (١) قبل أن يعلن النبى (ﷺ) الدعوة إلى الله ، وقد صرح ورقة بأن محمداً رسول الله حقاً ، وأن دلائل نبوته معروفة له ، وقال له : لو أدركنى يومك لنصرتك نصراً مؤزراً وعنى أن يدركه .. فهل الذى يقول ذلك يكون معلماً ؟

وهل كان "ورقة " عاجزاً عن ادعاء الرسالة .. مادام يمتلك مقوماتها ؟

والذى تنبئ به المقابلة بين رسول الله (ﷺ) وورقةبن نوفل هو :

١ – أن اللقاء كان علانية فى الطواف حول الكعبة ، وكان بعد نزول الوحى .

٢ – أن ورقة كان على علم بصفات النبى كما ورد فى القرآن أنها فى التوراة والإنجيل .

٣ – أن ورقة سأل النبى عن المقابلة الاولى مع جبريل – عليه السلام – والنبى يجيب .

٣ – أن النبى (ﷺ) لم يضف إلى معلوماته سوى أنه رسول الامة المبشر به فى التوراة والإنجيل ، لكنه لم يرد فى القصة أن "ورقة " كلمه عن عقيدة أو شئ من أمور الدين

وخلاصة المقابلة : أنها لا تسمح بأكثر من تنبؤ رجل على علم بأن نبياً سيبعث وهذا النبى هو محمد (ﷺ) ومن يرى منها أكثر من هذا فذاك شأنه !! والذى نود إثباته هو أنه ليست مصادر التاريخ الصحيحة دالة على اختلاط ورقة بمحمد (ﷺ) اختلاطا يسمح له بأن ينقل عنه شيئاً .

---

(١) فى البخارى عن عائشة : ( ثم لم ينشب ورقة أن توفى ) وفتر الوحى ) فتح البارى ٢٦/٨

## ج – الغلام الرومى :

وجدير بالذكر أن شبهة .. تعلم الرسول (ﷺ) من بعض الأشخاص كالغلام الرومى (١) ، شبهة قديمة لا جديد فيها ، غير ان أهل مكة مع عنادهم وتكذيبهم للرسول وحرصهم على منع دعوته من الإنتشار – حقداً وحسداً – كانوا منطقيين فى حربهم للإسلام عن المستشرقين الذين فاقوا كل توقع فى الخصومة واللجج!!

فالقرآن حكى عنهم القول : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) فكان رد القرآن المقنع : (لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) (٢) فكيف بغلام رومى يبيع عند الصفا أعجمى اللسان لا يعرف العربية أو أنه كان يعرف الشئ اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لابد منه ، كيف يتعلم محمد من رجل أعجمى هذاحاله ، القرآن بما يشتمل عليه من فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة؟

قال الزهرى عن سعيد بن المسيب : الذى قال ذلك – أى أن القرآن بشرى من المشركين رجل كان يكتب الوحى لرسول الله (ﷺ) فارتد بعد ذلك عن الإسلام وافترى هذه المقالة قبحه الله (٣)

ومن غرائب ما يحكيه أعداء الإسلام عن بشرية القرآن.. أن محمداً تعلم القرآن من عبد الله ابن سلام .. ومريم القبطية .. وسلمان الفارسى !! إن الإدعاء بأن محمداً (ﷺ) تلقى علمه بالقرآن من ابن سلام ، لا ينطوى على تحريف للحقائق التاريخية فحسب بالخلط بين دور التابع

---

(١) قيل : هو جبر ، غلام رومى كان لعامر بن الخضرمى ، وقيل : هما عبدان جبر ويسار ، كانا يصنعان السيوف بمكة ، ويقرآن التوراة والإنجيل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر عليهما وقف يسمع ما يقرآن ، فقالوا : يعلمانه ، فقيل لاحدهما فقال : بل هو يعلمنى . انظر الكشاف ج٢ ص ٣٤٤ ، وتفسير الرازى ج٢٠ ص ٩٤ ، وابن كثير ج٢ ص ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، وابن هشام ١ / ٣٦٠ .

(٢) سورة النحل : آية رقم : ١٠٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير – ج٢ – ص ٥٨٧ .

والمتبوع .. وإنما ينطوى أيضاً على قلب فى ترتيب الاحداث التاريخية (١) المعروفة ؛ لأن جوهر حقائق التوراة كله كان قد أعلن بدقة فى مكة ، وقبل أن تتاح الفرصة لأمثال عبد الله بن سلام أن "يروا وجه الرسول"(٢)

والجدير بالملاحظة أن الآيات القليلة التى نزلت بالمدينة تتعلق فى أغلبها بالحقائق الدينية المسيحية التى ينكرها اليهود تماماً .

إذن مهما بذل المغرضون من محاولات لتجميع نقط التشابه بين الحقائق القرآنية والحقائق اليهودية والمسيحية ، سنقول : جهد ضائع .. بل إن ذلك سيكون معناه بالحرف الواحد ، اصطناع أسلحة تفيد منها المبادئ القرآنية (٣).

ما أوهى شبهة أن يعلم غلام رومى أو غيره الرسول القرآن ؟ وهل يضن المعلم على نفسه بمجد وشرف ثم يجود به على المتعلم ؟ ما أبعد هذا عن العقل والإنصاف !! ألم يكن ذاك المعلم أيا كان هو أولى بأن ينسب إليه ذلك الشرف العظيم المنوط بتلك الدعوة طالما علم أنها دين حق ؟؟

إن التعصب والعناد دائماً يؤدى بصاحبه إلى قلب الحقائق ، وتزيين الباطل .. وكما أن الحب يعمى ويصم ، فالبغض كذلك .. وليس فى موقف المستشرقين ومن دار فى فلكهم إلا البغض للإسلام ورسوله وقرآنه ، الذى أعماهم عن رؤية الحق الدال على صدقه .

---

(١) وخلط تاريخى آخر مع فاصل زمنى أكبر يستحق الذكر هنا ، عن الدور المزعوم لسلمان الفارسى ، ومريم القبطية .. كمعلمين لمحمد عن الديانة الزرادشتية والمسيحية ،والواقع أن إسلام سلمان كان بعد الهجرة بقليل وكان لا يزال يعانى وطأة الرق مدة أربع سنوات وهو فى خدمة سيد يهودى مستبد ، ولم يتمكن من مصاحبة الرسول إلا فى معركة الخندق وفى العام الخامس للهجرى .. أما مريم المصرية فقد وصلت بعد هذا التاريخ فى العام السابع للهجرى ، السيرة النبوية : لابن هشام - ج٣ - ص ١١٣ .

(٢) سنن الترمذى : كتاب صفات القيامة : باب ٤٠ .

(٣) مدخل إلى القرآن الكريم : د / محمد عبد الله دراز - ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

## المبحث الخامس

## حالة النصرانية وقت مجئ الإسلام .. هل كانت تسمح بالأخذ عنها ؟

إن الإدعاءات السابقة والتى هذى بها أعداء الإسلام كثيراً بأن مصادر الإسلام ملفقة .. ادعاءات حرى بهم أن يتخلوا عنها ؛ لأن الباطل مهما علا صوته وظهر بريقه ، فإنما هى دولة ، وحتماً لابد للحق أن يسود ، ومن آيات الحق ، أن يخرج بين الفينة والفينة من هؤلاء المخادعين من يعترف بالحق لأهله .

وهاهو أحدهم يقرر أن الوثائق الدالة على اقتباس القرآن عن النصرانية ضعيفة ، فجاء قوله : ( مهما كان إغراء الفكرة التى تقول بأن تفكير الشاب المصلح ( محمد ) قد تأثر بقوة عندما شاهد تطبيق الديانة المسيحية بسوريا ، فإنه يتحتم استبعادها ؛ نظراً لضعف الوثائق والاسس التاريخية الصحيحة ) (١) فليس لأعداء الإسلام من دليل سوى الكذب .

وعلى سبيل الجدل ، هل كانت المسيحية فى جزيرة العرب تثير الإعجاب وتغرى بالمتابعة والإقتداء ؟؟ بمعنى : هل كانت المسيحية صالحة للأخذ عنها ؟! لندع الكتاب النصارى يصفون النصرانية ، فى ذلك الوقت الذى بعث فيه محمد (ﷺ) .

يقول "ج . سال " : ( إذا قرأنا التاريخ الكنسى بعناية ، فسنرى أن العالم المسيحى قد تعرض منذ القرن الثالث لمسخ صورته ، بسبب أطماع رجال الدين والإنشقاق بينهم ، والخلافات على أتفه المسائل . والمشاجرات لا تنتهى ، والتى كان الإنقسام يتزايد بشأنها .

وكان المسيحيون فى تحفزهم لإرضاء شهواتهم واستخدام كل أنواع الخبث والحقد والقسوة .. قد انتهوا تقريبا إلى طرد المسيحية ذاتها

---

(١) مصدر جديد للقرآن : هوارت : ص ١٢٩ نقلا عن مدخل إلى القرآن : د / دراز – ص ١٣٨ .

من الوجود !! بفعل جدالهم المستمر حول طريقة فهمها ، وفى هذه العصور المظلمة بالذات ظهرت بل وثبتت اغلب أنواع الخرافات والفساد.. ولقد وجدت الكنيسة الشرقية نفسها بعد مجمع " نيقية " ممزقة بسبب الخلافات بين أنصار أريوس وسابليوس ونسطور ويوتيخيوس . ولقد رأى رجال الدين أن يمنح ضباط الجيش بعض الحماية ، وبهذه الحجة كان العدل يباع علنا مما شجع كل نوع من أنواع الفساد والرشوة .

أما بالنسبة للكنيسة الغربية ، فقد بلغ الخلاف بين دماز وأرزيسيان على كرسى الاسقفية بروما فى شدته اللجوء إلى العنف والقتل ، ولقد قامت هذه الإنشقاقات أساسا نتيجة أخطاء الأباطرة ولا سيما الإمبراطور " قسطنس " وزادت حدة فى ظل حكم " جستنيان " الذى أعتقد أنه ليس هناك أى جرم فى قتل أى رجل يخالفه فى فهم العقيدة .

هذا الفساد فى الأخلاق وفى العقيدة الذى ساد بين الأمراء وبين رجال الدين ، استتبع بالضرورة فساد الشعب عامة ، حتى أصبح شغل الناس الشاغل على اختلافهم هو جمع المال بأية وسيلة مهما كانت لإنفاقه بعد ذلك فى الترف والرذيلة ) (١) فإذا كانت المسيحية هكذا بهذا الإخلال والتمزق .. كيف يقتدى بها ؟ وإذا كان ( ج . سال ) (٢) قد ذكر حقيقة الفصل بين المسيحية كمنهج وبين أهلها كسلوك ، حتى بدت فى صورة منفرة ، المحال أن يقتدى بها ...

فإن شاهداً نصرانياً يعترف بفساد النصرانية .. وهذا من شأنه تفنيد دعوى .. اتباع " محمد " للنصرانية ؛ لما رأه بها من أدواء وعلل لذا فقد كتب يقول : ( إن ما قابله محمد وأتباعه فى كل اتجاه .. لم يكن إلا خرافات منفرة ، ووثنية منحطة ومخجلة ، ومذاهب كنسية مغرورة ،

---

(١) انظر : ملاحظات عن الإسلام : ج . سال : ص ٦٨ – ٧١ وراجع حقائق الإسلام وأباطيل خصومه – عباس العقاد : ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) ذكر الأستاذ : عباس العقاد أن اسمه " جورج سيل "

وطقوساً دينية منحلة وصبيانية ، بحيث شعر العرب ذوو العقول النيرة ، بأنهم رسل من قبل الله مكلفين بإصلاح ما ألم بالعالم من فساد)(١) .

وعندما وصف راهب مؤرخ ، الآلام والعذاب والذى أوقعه الفرس بشعب فلسطين فى زمن " محمد " ، لم يكن يتردد فى أن يقرر : أن الله لم يصب المسيحيين هناك بقسوة الزنادقة الظلمة إلا بسبب ظلمهم وشرورهم ، وعندما أراد " موشايم " وصف هذا العصر رسم صورة للمقارنة ، أبرز فيها التعارض بين المسيحيين الأوائل والأواخر ، وخرج بأن الديانة الحقيقية فى القرن السابع كان مدفونة تحت أكوام من الخرافات والأوهام السخيفة ، حتى أنه لم يكن فى مقدورها أن ترفع رأسها (٢)

وقد عقب الدكتور / دراز على هذه الطعنات لشبهة الإقتباس من النصرانية بقوله : ( وكان هذه الصفحات قد كتبت لتفسر الآية القرانية الوجيزة : (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ) (٣) فهذه الآية الكريمة تشير مجرد إشارة إلى البعد الذى كان بين النصرانية والنصارى فى عصر الرسول ، وتعلن أن الإنشقاق الناتج من هذا البعد سيمتد إلى يوم القيامة ) (٤) فادعاء المعاندين من المستشرقين ، بأن الدين الذى جاء به محمد ، ما هو إلا مزيج من معارف دينية لفقها بسبب اختلاطه باليهودية والمسيحية وما جاوره من ملل ونحل والتى تأثر بها تأثراً عميقاً ، فاقنع نفسه بها ، وتوهم أنه صاحب رسالة يستطيع أن يصلح ما يراه من فساد فى البيئة العربية .

---

(١) المسيحية القديمة : تايلور : ج١ – ص ٢٦٦ ، نقلاً عن مدخل إلى القران : د / دراز – ص ١٣٧ .

(٢) أسحق تيلور – ذكره : د / سنكلير تسدال فى " مصادر القران " ص ١٣٦، ١٣٧ بالإنجليزية ، نقلاً عن المصدر السابق – ص ١٣٨ .

(٣) سورة المائدة : اية رقم ١٤ .

(٤) مدخل إلى القران : ص ١٣٨

لقد بات مثل هذا الزعم قولاً مضحكاً لا معنى له فى ميزان البحث العلمى .. لأن معنى التأثر أو الإقتباس ، أن المتأثر أو المقتبس يأخذ عمن يتأثر به جميع أفكاره أو بعضها ، فهل إذا طبقنا هذا الشرط على الإسلام مع .. اليهودية والنصرانية ، نراه بالفعل قد تأثر بهما فى عقائده وتشريعاته ؟

إن نظرة عاجلة فى كتاب الإسلام الخالد تبطل هذا الهراء وتنفيه البتة .

## المبحث السادس
## أمية محمد (ﷺ)

وإضافة لما سبق من دلائل تؤكد إلهية القرآن .. نذكر دليلاً قوياً نفحم به خصوم الإسلام من المستشرقين وغيرهم ، مؤكدين أنه لا ريبة فى كون القرآن وحياً " إلهيا " منزلاً من عند الله تبارك وتعالى .

هذا الدليل هو " أمية محمد " (ﷺ) .

بات معروفا أن أعداء الإسلام من المستشرقين يدعون : أن محمداً أخذ القرآن عن التوراة والإنجيل ، هذا الأخذ أو الإقتباس يوجب أن يكون محمد قارئاً كاتباً (١)

### فهل كان محمد كذلك بالفعل ؟؟ !!

إن مطالعة يسيرة للقرآن الكريم تنبئ فى وضوح لا غموض فيه أن محمداً (ﷺ) كان أمياً .. لا يقرأ ولا يكتب قال تعالى : (فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)(٢) وقال عز شانه : (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) (٣) .

والمعنى : أن الله تعالى عالم السر والنجوى ، علم ما يتخبط به أعداء الإسلام حول مصدر القرآن ، فساق دليلاً يبطل كل شبهة ، حيث ذكر محمد (ﷺ) هذه الحقيقة علانية على أهل مكة ومحاوريهم ، فلم

---

(١) مع تفنيد شبهات المستشرقين حول دعواهم الباطلة : بشرية القرآن ، وانه من تاليف .. محمد .. تاثر فى عمله هذا بالبيئة المحيطة به . وقد ثبت قطعياً أن بيئة العرب لم تكن صالحة والأدلة سبق ذكرها – أقول مع هذا نسوق حجة ملزمة تقطع دابر المعاندين وتستاصل شأفة عنادهم – وهى أنه : لم يكن محمد (ﷺ) على علم بالقراءة والكتابة ، وهذا ما نحن بصدد إلقاء الضوء عليه فى هذا المبحث – إن شاء الله – .

(٢) سورة الأعراف : آية رقم : ١٥٧ .

(٣) سورة العنكبوت : آية رقم : ٤٨ .

ينازعوه فعلم قطعاً أنه كذلك ، أمى " لا يقرأ ولا يكتب " يا محمد لقد لبثت فى قومك قبل أن يأتيك الوحى بهذا القرآن أربعين عاماً ، ولقد أيقن قومك أنك لا تقرأ ولا تكتب ، فكأن الله يقول : لو كان محمد قارئاً كاتباً كان لارتيابهم معنى ، أما وان الأمر ليس كذلك ، فهم المختلقون إفكاً الفاسدون قولاً .

فعدم تعلمه (ﷺ) للقراءة والكتابة (١) كان لحكمة أرادها الله تعالى لانه : ( لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهماً فى أنه ربما طالع كتب الأولين فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة ، فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة ، كان ذلك من المعجزات ) (٢) . التى علم الله أنها ، من أوضح الأدلة على صدق رسوله .

ومعنى كونه (ﷺ) أمياً – كما يقول الزجاج- أى الذى على صفة أمة العرب فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرءون ، والنبى (ﷺ) كان كذلك ولذا وصف بأنه أمى .

ويرى الإمام الرازى ، أن " الأمى " منسوب إلى " الأم " وسمى النبى (ﷺ) اميأ قيل : لأنه كان لا يكتب ، وذلك لأن الأم أصل الشئ ،

---

(١) وقد عنى الحافظ ابن كثير ، بالرد على شبهتين تفيدان أن النبى (ﷺ) كان يكتب فقال : أو من زعم من متأخرى الفقهاء كالقاضى " أبى الوليد الباجى " ومن تابعه ، أنه عليه السلام .. كتب يوم الحديبية : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله . فإنما حمله على ذلك رواية فى صحيح البخارى : ثم أخذ فكتب ، وهذه محمولة على الرواية الاخرى : ثم أمر فكتب . ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال : يقول الباجى ، وتبرؤا منه وانتشدوا فى ذلك أقوالاً وخطبوا به فى محافلهم . وإنما أراد الرجل – أعنى الباجى – فيما يظهر عنه انه كتب ذلك على وجه المعجزة !! لا انه كان يحسن الكتابة كما قال رسول الله (ﷺ) إخباراً عن الدجال " مكتوب بين عينيه كافر " وفى رواية " ك ف ر ، يقرؤها كل مؤمن " والشبهة الثانية هى : ما تورده بعضهم من الحديث ، انه لم يمت (ﷺ) حتى تعلم الكتابة . فضعيف لا أصل له ) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج٣ – ص ٤١٧ .

(٢) التفسير الكبير : للإمام الرازى – ج١٥ – ص ٢٠ .

فمن لا يكتب فقد بقى على أصله فى أن لا يكتب ، وقيل : نسب (ﷺ) إلى مكة وهى أم القرى (١)

وقد بينت السنة المطهرة ، المراد بكلمة " أمى " حتى لا يلتبث معناها ، روى البخارى بسنده عن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى (ﷺ) أنه قال : ( إنا أمة أمية .. لا نكتب ولا نحسب .. الشهر هكذا أو هكذا ، يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين ) (٢) فقد كان المشهور أن العرب أميون ، لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة ونادرة .

فأمية محمد (ﷺ) مع ما اشتمل عليه القرآن والسنة من العلوم المتنوعة والحقائق المؤكدة ،دليل على أن مصدر هذا النبى إنما هو وحى الله تعالى .

وقد أكد القرآن ، أن محمداً لم يطالع كتاباً فى حياته قبل أن ينزل عليه القرآن ، وأوضحت السنة أن الأمى هو من لا يعرف القراء والكتابة، ولم ينازع أحد من أهل مكة أو مجاوروهم ممن عرفوا محمداً (ﷺ) فى شبابه ما قرره القرآن وهذا ما سجله القرآن على معارضى الرسول ومعانديه ، الذين لم يجادلوا فى مسألة أمية الرسول . قال تعالى : (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (٣) ومعنى "اكتتب" أى أمر من يكتب له ( فهى تملى عليه ) أى تقرأ عليه ، والمعنى: أنها كتبت له وهو أمى (٤) فالعرب مع حرصهم على تكذيب محمد (ﷺ) لم يجرؤا أن يقولوا : كتب .. بل قالوا : اكتتب .. لعلمهم بأنه (ﷺ) كان أمياً .

(١) المصدر السابق : ج٨ – ص ٩٠ .
(٢) فتح البارى : ج٤ –ص ١٥١/١٩١٣ كتاب الصوم ..
(٣) سورة الفرقان : آية رقم : ٥ .
(٤) التفسير الكبير : للرازى – ج٢٤ – ص ٤٤ .

وفى معرض الكلام على " أمية الرسول (ﷺ) يقص لنا "الجاحظ"(١) حواراً بينه وبين أحد علماء البصرة (٢) حيث يرى البصرى: أن الله جعل محمداً أمياً لا يكتب ولا يحسب ، للدلالة على أن ما يأتى به من الله ، ولكى يتولى الله أمر تعليمه فإذا كان حجب عنه شيئاً فقد أعطاه أشياء ، بينما يرى " الجاحظ " أن ملكات القراءة والكتابة وغيرها من قرض الشعر والخطابة والبلاغة كانت موجودة لدى محمد (ﷺ) بيد أنه شغل عنها بأفضل منها إذ أن عدم هذه الملكات نقيصة ، ووجودها مع صرفه عنه إعجاز وكمال . وسواء تابعنا الشيخ البصرى ، فيما ذهب إليه من انعدام ملكات الكتابة والشعر ، وأدواتهما ..

أو وافقنا الجاحظ فى وجودها وتمكن الرسول (ﷺ) منها كأحسن ما تكون ، غير أنه صرف عنها . فكلاهما مجمع على أمية الرسول وهى عدم معرفته للقراء ، والكتابة والحساب ،وإن اختلفا فى علة عدمها .

هذا وتوجد عقبة من المحال على المستشرقين أن يكابروا بشأنها . وهى : أنه لم يكن يوجد فى زمن بعثة محمد (ﷺ) توراة ولا إنجيل باللغة العربية !!

ويترتب على هذا – وهو دليل يضاف إلى ما سبق – أن شبهة : أخذ محمد عن التوراة والإنجيل ، شبهة باطلة لا برهان عليها للأسباب التالية :

---

(١) الجاحظ : هو عمرو بن بحر الجاحظ : وكنيته أبو عثمان ، تنسب إليه فرقة "الجاحظية " من المعتزلة ، وهو من الطبقة السابعة للمعتزلة ، له مصنفات كثيرة نافعة فى التوحيد ، وإثبات النبوة وفى الإمامة ، وفضائل المعتزلة وغير ذلك ، لم يصل من كتب أهل طبقته قدر ما وصل إلينا من مؤلفاته ، يثق ابن حزم بنقله ، قال عنه أبو الحسين الملطى : كان صاحب تصانيف ولم يكن صاحب جدل ، أخذ عن النظام وثمامة بن أشرس ، والقاضى أبى يوسف . قال عنه ابن برداد وهو نسيج وحده فى جمع العلوم ، جمع بين علم الكلام ، والأخبار ، والفتيا ، والعربية ، وتأويل القرآن .. الخ . مات سنة ٢٥٥ هـ أيام المهدى . وقيل ٢٥٠ هـ وقيل ٢٥٦ . راجع طبقات المعتزلة : للقاضى عبد الجبار : ص ٥٨-٦٠ والفرق بين الفرق – للبغدادى ص ١٨٧ ، وفيات الأعيان – ترجمة ٤٧٦ .

(٢) راجع هذا الحوار .. البيان والتبيين : للجاحظ – ج٣ – ص ١٤١، ١٤٢ المطبعة الرحمانية – مصر – عام ١٣٥١هـ – ١٩٣٢ م .

**الأولى** : أن أمية محمد (ﷺ) كانت محل اتفاق بين ألد أعدائه وهذا ما حكاه القرآن عنهم ، فحياة رسول الإسلام محمد (ﷺ) كانت معروفة للجميع – المحبين والمعادين – فى شبابه قبل البعثة ، وشيخوخته بعد البعثه .

**ثانياً** : لكى نفترض صحة هذا الزعم ، فلابد أن محمداً (ﷺ) كان يعرف اللسان العبرى والسريانى واليونانى . ولابد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل الأدب التلمودى والأناجيل المسيحية ومختلف كتب الصلوات وقرارات المجامع الكنسية ، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين وكتب مختلف الكنائس ، ولابد كذلك أنه كان لديه كتب ووثائق خاصة بالعهد القديم من التوراة وما يتعلق بها .

**ثالثاً** : إن الإفتراضات المشار إليها ساقطة ؛ لأنه لا أحد قديماً أو حديثا يمكنه أن يحتج لما يزعم المتعصبون أن محمداً كان يعرف لساناً غير العربية ، فقد كانت اليهودية والنصرانية مكتوبة بلغة أجنبية . فكيف يفيد محمد منها ؟

**رابعاً** : شهادة المنصفين من المستشرقين بأن الكتاب المقدس – التوراة والإنجيل – قبل بعثة النبى محمد (ﷺ) وبعد اختياره رسولاً خاتماً للرسالات الإلهية لم يكن باللغة العربية ، بل كان حكراً على أصحاب هاتين الملتين لوجوده بلغة أجنبية .

**خامساً** : من الأقوال الدالة على أمية الرسول (ﷺ) وسلامة دينه عن التأثر بما هو غير إلهى ، ما أذعن به المستشرقون ، وفى هذا المعنى يقول " نولدكه " : إن محمداً كان يعتبر نفسه أمياً ولهذا كان يترك غيره يقرأ له القرآن ومراسلاته . إنه على أية حالة لم يقرأ – محمد (ﷺ) التوراة أو أى كتاب عظيم آخر (١)

(١) تاريخ القرآن : نولدكه – ج١ – ص ١٦ . باللغة الألمانية عن مدخل إلى القرآن الكريم –ص ١٤٢ .

فالكتاب المقدس لم يظهر باللغة العربية إلا بعد ذلك – أى مبعث محمد (ﷺ) – بقرون عديدة ، ولم تكن الحاجة ملحة لإنجيل باللغة العربية إلا فى القرن التاسع والعاشر (١) (٢)

وهاهو القس " شيديك " رغم بحوثه المضنية فى المكتبات المختلفة ، أدت به نتائج البحث العميق إلى أن يقول : بأنه لم يتمكن من الرجوع بتاريخ أقدم ترجمات العهد الجديد باللغة العربية إلى أبعد من القرن الحادى عشر (٣)

إضافة إلى أن العهد القديم لم يكن مترجماً إلى اللغة العربية ، فقد اعترف المستشرقون بأن صحائف الرهبان كانت بلغة أجنبية .

وقد أشارت الموسوعة البريطانية ، إلى عدم وجود ترجمة عربية لأسفار اليهود قبل الإسلام ، وأن أول ترجمة كانت فى أوائل العصر العباسى (٤) وكانت بأحرف عبرية (٥)

وهذا مستشرق آخر ، يرد أباطيل ذويه ممن أعماهم التعصب والحقد عن الإقرار بالحقائق الماثلة فى دين الإسلام الحق . يقول أحد الذين تابعوا نتائج البحث النزيه عن الأهواء : ( ثبت إذن أن محمداً (ﷺ) لم يقرأ كتاباً مقدساً ولم يسترشد فى دينه بمذهب متقدم عليه ) (٦)

فمع ما عليه المستشرقون من تحن وتحامل على الإسلام وأهله إلا أن القليل منهم تدفعه نتائج الأبحاث العلمية دفعاً للإذعان والإقرار بالحق فى دين الإسلام .

---

(١) أى فى نهاية القرن الرابع الهجرى .

(٢) مجلة " العالم الإسلامى " مقال مس " بادويك " عن أصل الترجمات العربية ، أبريل ١٩٣٩ م .

(٣) دراسة عن الغزالى : شيديك : الفصل السابع : عن المصدر السابق – ص ١٤١ .

(٤) أى فى حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى:فالعصر العباسى الأول بدأ عام ١٣٢هـ

(٥) الموسوعة البريطانية : التوراة بين الوثنية والتوحيد : أ / سهيل ويب – ص ٢٦ ، ٢٧

(٦) الإسلام خواطر وسوانح : هنرى دى فاسترى – ص ٦ ترجمة أحمد فتحى زغلول . مطبعة الشعب ١٩١١م